التعلم عبر الاختلاف والتفاعل

تجربتي مع المجلة

عبد الرحيم زايد

تقديم

كانت الفكرة في البداية أن تلتقي مجموعة من المعلمين والمعلمات من مختلف المدارس بقصد العمل على مشاريع صغيرة في المدارس. وفي اللقاءات الأولى، شعرنا بالحيرة، لأننا كنا نعتقد أن الأمر يتعلق بمسرح الدمى. فأشغلنا تفكيرنا بعض الوقت في ذلك الاتجاه، ولكني شخصياً لم أستطع الوصول إلى نتيجة مرضية، ولعل السبب في ذلك كان إحساسي بأن الموضوع مُسقط إسقاطاً. ولكن فيما بعد، وحين بدأت الفكرة تتضح أكثر، وأن المقصود هو العمل على مشروع صغير في المدرسة يقوم به الطلبة بتوجيه بسيط من المعلم المشرف عليه، لا أدري لماذا وجدتُ نفسي أفكر بإعداد مجلة طلابية. ولأن الفكرة لم تكن قد تطورت بعد، فقد استغرقت وقتاً إضافياً في التفكير واستشارة طلبتي وزملائي. وحين عدتُ إلى مركز القطان للبحث والتطوير التربوي للمشاركة في اللقاءات، كُنت متحمساً لمشروعي، إلى درجة أنني خلطتُ الدوافع بالأهداف بالأفكار، فلم أستطع إيصال فكرتي التي كانت أكثر وضوحاً في الاجتماع الأول. فقد كان أكثر ما يشغلني في الموضوع، قضية الديمقراطية في التعليم، انطلاقاً من قبول الاختلاف. وكيف يمكن أن يخدم مشروع صغير هذه القضية ويساهم فيها ولو بشكلٍ بسيط؟ وهل أن مشروع المجلة الطلابية هو الطريقَ الأمثل لهذه المساهمة؟

الفكـرة والدافع

حين اكتشفتُ أننا في مجتمعنا "نُصرُّ على الاختلاف"، فقد كان يخطر لي منذُ زمن، أن أستفيد من فكرة الاختلاف في تعليم الديمقراطية، وبخاصة أنني كنتُ قد درستُ هذا الأمر من قبل، فأدركتُ صوراً عدة للاختلاف في عالم التربية والتعليم. وأول هذهِ الصور يتعلقُ بطلبتنا؛ فقد جاءوا من بيئات مختلفة: قرى، مدن، مخيمات، أغنياء، فقراء، متفوقين، ضعفاء، . . . كلهم يجتمعون في مدرسة واحدة أو في صف واحد. ولكن لكل منهم حياته الخاصة، فلا تراه يعلم الكثير عن بقيةِ الأطياف. وتراهم في ساحات المدارس يكونون شللهم الخاصة التي يلوذون بها عند كل خطب، فيتكون لديهم بذلك "سيكولوجيا" رفض الآخر، وبخاصة أنهم قد جاءوا من بيئات اجتماعية أو ظروف اقتصادية متباينة.

أما الصورة الثانية، فهي أن المجتمع خارج المدرسة لا يعلم ما يكفي عما يدور فيها. ففي مجتمع البيت، مثلاً، لا يُدرك الأهل الكثير عن عالم ابنهم إلا من خلالِه هو كفرد، أو من خلال ما يزرعون هم فيه من قيم موروثة بغض النظَر عن المدرسة. والصورة الأكثر غرابة للاختلاف، هي بينهم وبين معلميهم، إلى درجة أستطيع معها القول، أننا -كمعلمين- لا نعلم الكثير عن طلبتنا، ما يجعل المدرسة، أحياناً، ساحة للصراع بين المعلم والطالب، أو في أحسن الأحوال قد ترى المعلم يعتبر نفسهُ في حالةِ حرب مزمنة مع الطلبة، فيُدخل كل الأسلحة المتاحة أحياناً، وأحياناً أُخرى يتحايلِ أو يُهادن. فتراه، مع هذه الحال، يلعن الساعة التي أصبح فيها معلماً، ليدخل في معركة مجبر علَيها (هذه هي الصورة الكوميدية للاختلاف، ولكنها كوميديا سوداء إذا ما دققنا النظر).

بعد إدراكي فكرة الاختلاف، بدأتُ أتساءل إذا ما كانت هذه فعلاً بعض الصور النمطية في واقعنا التربوي، فماذا لو حاولت أن أقوم بمشروع يساهم في التعدي على هذه الصور النمطية؟ ماذا لو تحرك الطلاب خطوة نحو بعضهم البعض، وخطوة نحو واقعهم المحيط؟

من هُنا وصلتُ إلى اجتهاد بأن الطلاب يجب أن يتحدثوا، ولكن بطريقتهم الخاصة، وليس بطريقة الإنشاء والتعبير البائسة التي ورثناها من مخلفات الدولة العثمانية. يجب أن لا تبدأ أعمالهم بالديباجة

السجعية، وتنتهي بـ "تفضلوا بقبول فائق الاحترام". والمفروض أن لا تكون أعمالهم متوسلة للقبول من الآخر (حتى لو كان المعلم)، وأن تكون مبنية على المشاركة، لا على المنافسة.

لعل كل هذه الآراء كانت في واردي حين بزغت فكرة مجلة طلابية في ذهني، ونحنُ مجتمعون في مركز القطان.

مرحلة تبلور الفكرة

حين عدتُ إلى المدرسة في اليوم التالي، بدأت أطرح الفكرة على الطلبة، وقمنا بنقاشها مطولاً أياماً عدة، للوصول إلى الشكل الأمثل للبدء بتطبيقها. فوقفتُ بعد ذلك أمام سؤال: كيف أبدأ؟ فخطر لي أن أبدأ بطلب مواضيع من الطلبة، في أي شأن يريدون، ولم أنسَ التأكيد على أن لا شيء محرماً. ولم أنتظر أكثر من يوم واحد لأجد المدرسة تنفجر بالنشاط والحركة والصخب. وكأن الطلبة كانوا بانتظار فرصة ليقول لهم أحد ما، أن يعبروا عن أنفسهم دون قيود. فعلى الرغم من أن المواضيع كانت بين الإنشاء العادي، والرسوم، والصور، والتقارير المتواضعة، إلا أن الذي حدث كان انفجار عالم من «الفوضى الخلاقة» من حولي. لقد شارك عددٌ كبير من الطلبة، على اختلاف مستوياتهم من الأكثر تفوقاً إلى ذلك النوع من الطلبة الذين لا حظ لهم من شيء إطلاقاً، هؤلاء تحديداً كانوا في غاية السعادة حين رأوني أتقبل موضوعاتهم بنوع من التقدير، حتى وإن كانت في غاية البساطة. والحقيقة أن مشاركة الطَّلبة الواسعة فاجأتني. ولكن الذي أذهلني هو مواقف المعلمين. فقد استغرب الجميع تجمعات الطلبة هنا وهناك وهم يُراجعون ما فعلوا ويحاولون جاهدين إقناعي به. فبدأت التساؤلات، حتى مِن الذين لم يكونوا يكترثون بأي أمر يحدث في المدرسة:

ماذا يحدث؟! . . . ما هذا الجنون؟! . . . طلبتنا يا أستاذ (حمير)! لا يمكن أن يقدموا شيئاً مهماً! والسؤال الذي لم يفاجئني طُرِح من أكثر من طرف: ماذا تستفيد من «القطان»؟ وماذا تصنع؟ عالَم كامل من الصخب بين الإدارة والمدرسين والطلبة. فالبعض متشكك، والبعض الآخر لا تروقهُ الفكرة. ولا بد من الإشارة إلى أن إلحاح هذه الأسئلة كان مستمراً مع استمرارنا في العمل في المشروع، إلى درجات كان يصل معها حد الاحتجاج العلني أو الرفض السافر، بحجج مختلفة، مثل تغيب الطلاب عن بعض الحصص –وهذا لم يكن دقيقاً– ومثل انشغال ذهن الطلبة بأمور تافهة لا جدوى منها . . . الخ.

ولا شك في أن ردود الفعل الإيجابية من الطلبة قد أسعدتني كثيراً منذ اليوم الأول، ولكن الغريب –والحق يقال– أن ردود الفعل السلبية والرافضة للفكرة من قبل المعلمين أسعدتني أكثر بكثير، بل وأستطيع القول إنني بدأتُ أتحسس التغذية الراجعة لما أنا مقدمٌ علية منذ اليوم الأول. ولا أنكر أن شعوراً غريباً بالغرور بدأ يتسربُ إلى نفسي، حين أدركت أني على وشك أن ألقي حجراً في بركة راكدة.

مراحل التجربة

لقد انشغلتُ في الأيام الأولى بمراجعة أعمال الطلبة وبمحاولة ترتيبها ترتيباً أولياً، لقد كان ذلك العمل ورطة كبيرة ورّطتُ نفسي فيها طائعاً مختاراً. وطوال الوقت، كُنتُ مشغولاً بالتفكير في الخطوة التالية، وأسئلة أخرى بدأت تطفو على السطح فتشعرني بالقلق أكثر: ماذا أفعل بكل هذه الأعمال «البدائية» التي أمامي؟ فمعظمها لا يصلح ولا بأي مستوى، وما زال الطلبة بعيدين جداً عن الفكرة والهدف الرئيسي للمجلة، فما زالوا طبعاً يكتبون ويعملون بالطريقة نفسها التي يسعى أحد أهداف المجلة إلى إخراجهم منها. ماذا أصنع بكل هذه الأعداد من الطلبة الذين تجاوزوا الأربعين بقليل؟ هل أقبلهم جميعاً كفريق عمل للمجلة؟ أم أختار منهم؟ ولكن على أي أساس أختار فريق عمل منهم، وأحد منطلقات المشروع يؤكد أننا كلنا متساوون؟ فلا يجوز تفضيل طالب على آخر لأي سبب كان، وإذا ما قُمتُ بذلك يكون مشروعي قد أفرغَ من محتواهُ. ومن أجل ترتيب هذه الأمور قُمتُ بصياغة أهداف عامة للمجلة:

الأهداف العامة للمجلة

1. إتاحة الفرصة للطلبة للتعبير عن أنفسهم من خلال منبر دائم وحر.
2. تعزيز مبدأ المشاركة بدل المنافسة بين الطلبة.
3. تعرف الطلبة على إمكانياتهم الفردية، وإمكاناتهم الجماعية.
4. إتاحة الفرصة لهم لاختبار الواقع المحيط بأنفسهم.
5. التعريف بعالمهم للمجتمع المحيط.
6. خوض تجربة جماعية.

ومن خلال بعض هذه الأهداف واستجابة الطلبة الكبيرة في الأيام الأولى، استوحيتُ طريقة اختيار فريق العمل.
(تجدر الملاحظة هنا أن عملية اختيار فريق العمل وتحديد المهمات، كانت هي الخطوة الأهم على الإطلاق في تجربتي، وقد كانت أيضاً الخطوة الأصعب).

اختيار فريق العمل وتحديد المهمات

في خضم غرقي في بحر أعمال الطلبة في الأيام الأولى، ومن وحي تفكيري القلق في الخطوات القادمة، خطر لي أن أغامر ببدء العمل دون تخطيط دقيق، فمُتطلبات فريق العمل سوف تتضح من خلال التجربة، وستتضح معها الأهداف المرجوة من هذا المشروع، وسيظهر الطلبة الأكثر حماساً وحدهم. وبناءً على ذلك، قُمتُ بالخطوة العملية الثانية (على اعتبار أن الخطوة الأولى كانت تلقي المواضيع «البدائية» من الطلبة).

دعوتُ إلى اجتماع عام للطلبة كافة الذين ساهموا في تقديم مواد ومواضيع، بغض النظر عن مستواها. ولكن عددهم في الأيام الأولى فاق 60 طالباً، وبخاصة بعد أن كُنتُ قد وزعت على الطلاب الحاضرين في اليوم الأول بعض الدفاتر والأقلام التي كانت قيمتها الرمزية بالنسبة لهم أكبر بكثير من قيمتها المادية. فقد شارك الطلبة على اختلاف مستوياتهم الأكاديمية، ما جعل الطلبة الأقل قدرة يتحمسون للمشروع أكثر من غيرهم وإلى القناعة أكثر بذواتهم.

كان الطلبة الذين حضروا من الصفوف من السابع وحتى التاسع

الأساسي. ولكن ما كادت تنقضي الاجتماعات القليلة الأولى حتى انسحب الطلبة الأكبر سناً لشعورهم بنوع من التخبط في سير عمل المجلة كما قالوا، وبخاصة أنني كنتُ أناقشهم في كل الأمور –على غير ما اعتادوا.

كان البعض منهم قد شارك في مجلات شبابية ومؤسسات غير حكومية. فأرادوا أن تسير الأمور بشكل تقليدي، بمعنى أن يتم اختيار هيئة تحرير من بين عدد قليل من الطلبة، تماماً كما جرت العادة التاريخية في مدارسنا، حين كان المعلم يختار الطلبة الأطول قامة للعب كرة السلة، بغض النظر عن مهاراتهم، أو الطلبة الأكثر وسامة ليمثلوا المدرسة في الأنشطة المختلفة، أو حين يتم أخذ الطلبة بمعدلاتهم في السنوات السابقة، ويتم طرح بقية الطلبة من المعادلة التربوية. أرادني بعض أولئك الطلبة أن أعمل على هذا النحو (وقد طرحوا أنفسهم لهذه المهمة، على اعتبار أنهم أصحاب خبرة). وكانوا قد قدموا لي برامج جاهزة بهذا الشأن، حول التقسيمات الإدارية، والتبويب، والموضوعات، وأسرة التحرير، في المجلات والصحف. وكان اعتراضهم أيضاً على مشاركة الطلاب الصغار من الصف السابع (الذين بدأت ألاحظ من اليوم الأول أنهم الأكثر حماساً للمشروع، وثبت لي فيما بعد صدق ملاحظتي) . . . فقد كانت وجهة نظر الطلاب الأكبر سناً أن هذا الشكل من العمل لن يؤدي إلى شيء . . . ولن يحصلوا هم بالتالي على الدور القيادي الذي يطمحون إليه. وحين رفضتُ هذه الطريقة موضحاً أنها تتناقض مع أهداف المجلة، انسحب معظمهم تباعاً، بعد أن تنبئوا لي بفشل المشروع.

ولكنني من خلال هذه الخبرات الأولية وجدتُ نفسي أصل إلى الخطوة الثالثة في العمل (وهي مرتبطة بالخطوة الأولى على كل حال، وهو أن يُثبت الطالب نفسهُ في المجلة من خلال عمله، بغض النظر عن أي اعتبارات أخرى . . .).

وتابعنا اجتماعاتنا وعملنا، وفي كل مرة كان العدد المشارك يتناقص، حتى استقر على 22 طالباً من مختلف المراحل.

وخلال تلك الاجتماعات التي أردنا فيها اختيار فريق العمل، كُنا قد استشرنا عدداً من العاملين في المجال الصحافي، وكُنا قد تناقشنا في المشروع . . . وأحضرنا مجموعة من المجلات المتنوعة . . . وتدارسناها معاً في اجتماعاتنا الأولى . . . فوصلنا من خلالها ومن خلال كل ذلك إلى ما يلي، فبرز السؤال المهم، وهو كيف سيتم اختيار هيئة تحرير دون أن تكون العملية انتقائية تقليدية يُظلم فيها طلبة متحمسون بسبب سوء حظهم أو بسبب سياساتنا التربوية التقليدية؟ ومن خلال هذا السؤال دخلتُ في الخطوة الرابعة التي تقوم على أن تكون هيئة التحرير جماعية، حتى وإن كانت في الأصل عبارة عن مهمات أفراد؛ بمعنى أنهُ بدل من أن يتم اختيار رئيس تحرير، أو مدير تحرير، أو سكرتير تحرير فرد، يتم تشكيل هيئة رئاسة، وهيئة سكرتاريا، وهيئة إدارة . . . وهكذا. وهذهِ الفكرة أوحى لي بها الطلاب من خلال تجربتهم هم، كما أوحوا ليَ بطريقة الاختيار، حين فاجئوني بتقسيم أنفسهم إلى مجموعات . . . كل مجموعة منهم اختارت العمل على موضوع معين، بكل جوانبه، من تحرير الموضوع، وكتابة التقارير، والتقاط الصور والرسومات، وجمع المواد . . . بل إن تلك المجموعات تطوعت أيضاً بعمليات الطباعة ومحاولات التصميم والإخراج الصحافي . . . . ومع مرور الوقت، وتكدس الموضوعات ومتعلقاتها الأساسية على الأرفف، وفي ذاكرة أجهزة الكمبيوتر . . . تبلورت مجموعة عمل رئيسية، أضافت إلى مهماتها التي استعدت لها، جمع المواضيع من بقية الطلبة الراغبين في الكتابة من صفوفهم والصفوف الأخرى، وحث الطلبة على الكتابة وابتكار أساليب جديدة في العمل . . . لقد كانوا متحمسين للمشروع إلى درجة قدومهم في أيام العطل الرسمية، ومواصلة العمل والطباعة والإدخال والتصميم في بيوتهم . . . والحق يُقال إنهم كانوا أطول مني نفساً، وأكثر إصراراً على العمل.

فلكل مجلة من هذا النوع متطلبات رئيسية، وهي كما يلي:

أولاً. أن لكل مجلة جهةً معينة تصدرها بشكل دوري . . . ولم يكن عندنا مشكلة كبيرة في هذا الشأن، فمَركز القطان هو الذي سيشرف على إصدارها، بالتعاون مع إدارة المدرسة؛ بمعنى أن مركز القطان هو الذي سوف يمول ويصدر المجلة.

ثانياً. كما تتطلب صلة وصل أو منسق بين الأطراف المشرفة على عملية إصدار المجلة . . . ووجدتُ أن هذا هو دوري الطبيعي الذي وجدتُ نفسي فيه؛ بمعنى أنني سأكون مسؤولاً أمام الطلبة وأمام المدرسة من جهة ومركز القطان من جهةٍ أخرى، أي أنني سأكون المشرف على هذا العمل.

ثالثاً. إن أية مجلة بحاجة إلى هيئة تحرير . . . . ولاحظنا أن هيئة التحرير تكون مقسمة حسب الأدوار التي يقومون بها . . . بمعنى أن الحاجات الأساسية لأية مجلة تتطلب وجود:

1. من يرسم السياسة العامة للمجلة، ومن يُخطط لتوجهاتها، ويُشرف على كل شؤونها العامة، من مواعيد الإصدار، ونوعية المجلة، والمواضيع، والحجم، وعدد الصفحات، وعمليات الإخراج، كما أنهُ سيكون المسؤول الأول عن المجلة أمام مجتمع المجلة الداخلي وأما المجتمع الخارجي . . . وهذا هو دور (المحرر المسؤول).
2. المجلة أيضاً بحاجة لمن يقود هذه العمليات جميعاً بشكل مباشر، ويكتب الافتتاحية التي ترسم توجهات كل عدد، ويُشرف على محتوياته، ويشرف على إخراجهِ النهائي، ويعطي اللمسات النهائية والموافقات من عدمها على المواضيع . . . ويرأس العملية كلها

في كل مراحلها. . . وهذا هو دور ما يُسمى (رئيس التحرير). وتكون العلاقة الميدانية المباشرة لرئيس التحرير مع من يُدير كل عملية إخراج المجلة، ويكون صلة الوصل بين هيئة التحرير العامة ورئاسة التحرير، ويوزع المهام المباشرة على هيئة التحرير، وينتقي المواضيع بشكل مباشر، ويقوم بعمليات الإشراف وتوجيه وتبويب واختيار الموضوعات، ويعمل مباشرة مع فريق عمل المجلة، أي أنهُ المحرك الرئيسي للمجلة، وهذا الدور هو دور (مدير التحرير). ولا بد من وجود أحد يتلقى الموضوعات المختلفة، ويعرضها على إدارة التحرير كما هي، ويفصلها بعد ذلك إلى موضوعات صالحة أو غير صالحة للنشر، ويقوم بعمليات الأرشفة وغيرها من العمليات المتعلقة بها . . . . وهذا هو (سكرتير التحرير). كل هيئة التحرير كانت جماعية.

في أثناء التجربة

لقد اكتُشفت الكثير من الإبداعات في مجالات عدة عند الطلبة، فمن بينهم من لديه القدرة على الكتابة القصصية أو المسرحية، ومن بينهم من لدية إبداعات حقيقية في استخدام الكمبيوتر، أو الرسم . . . والأهم أن الكثير من الطلبة يمتلكون أشياء مهمة للغاية لم نكن ننتبه إليها في الحصص . . . حتى أن الكثير منهم لديه ملكات الحضور والقيادة والقدرة على التعامل مع الأزمات بشكل لم أكن أتوقعهُ . . . لقد أذهلني منذُ البداية حماسهم الكبير للمجلة، ولكني أدركت أنهم بطبيعتهم تواقون إلى الحرية، وميّالون للعمل الجماعي، على عكس ما تجذّرهُ سياساتنا التربوية منذُ سنين. فمثلاً الالتزام بالنسبة لنا كمعلمين يعني أن يجلس الطالب في مقعده أصمَّ ومشلولاً . . . ويتلقى ما يُلقى إليه بلا نقاش . . . أما ما لمستُهُ من الطلبة خلال تجربة المجلة، فهو أن الالتزام بالنسبة إليهم يعني أن ألتزم بقضاياي الحقيقية. ففي البداية مثلاً كانت تأخذني عقلية المدرس الكلاسيكي، فأطلب من الطلبة مهمات معينة، والكتابة بطريقة إنشائية معينة في موضوعات محددة، فألاحظ أن اللبس أصابهم، وأحتاج إلى شروحات طويلة لأوصل ما أقصد، ولا يُنفذ ما أطلب بشكل دقيق أو حتى صحيح كما أراه. وأكرر مطالبي أكثر من مرة فلا أصل إلى الكثير، فاجتمعت علي هذه الضغوطات وضغوطات المعلمين غير المتفهمين، فوجدتُ نفسي أقع في حالة اليأس بعد شهر من انطلاق المشروع . . . –والحمد لله أني وقعتُ في اليأس– إذ وجدتُ نفسي أطلب من الطلاب في هيئة التحرير أن يُديروا الأمور بأنفسهم، وألا يراجعوني في شأن المجلة إلا بعد أسبوعين . . . وكنتُ إذا ما قدم لي أحد الطلبة موضوعاً أوصلهُ لهم دون أن أتدخل . . . . وكم دُهلت حين دعوني إلى غرفة الكمبيوتر بعد أسبوعين لأجد أنهم أنجزوا أضعاف ما كنت أحلم به خلال تلك الفترة، فتابعت المشروع وأعطيتهم المزيد من الحرية مع مراجعة المواضيع كافة قبل طباعتها . . . . وما كاد يمضي الفصل الدراسي حتى كانت لدينا مادة صحافية كاملة. . . لا ينقصها سوى ترتيبات بسيطة وتدقيق لغوي . . . .

لقد كان الطلبة فخورين جداً بما صنعوا . . . وكانوا حريصين على إنجازهم الجماعي بشكل كبير، إلى درجة أنهم قاموا بعمل أكثر من نسخة من أعمالهم، بل ووضعوا حماية على منجزهم . . . . وبدأوا

يسألونني بإلحاح عن موعد نشر العدد الأول من المجلة، ومتى سيرونهُ يرى النور، وكم عدداً سيُطبع منه؟

لقد تغيرت شخصيات من شارك في هيئة التحرير إلى درجة أنك بدأت تلمس في نهاية العام كيف يتعاملون مع الزملاء والمعلمين بمنطق الإقناع والندية والحوار والتفاهم . . . وقد أدركت أنا أهمية أن يجد الطلبة من يُعاملهم من باب الندية وعدم التعالي.

أما الأثر الذي تركهُ المشروع في الآخرين، فإن مختلف الطلبة بدأوا يُحبون التعبير عن أنفسهم بأشكال مختلفة طالما بدأوا يشعرون بأن ثمة من يُمكن أن يسمعهم باحترام. لقد أصبحوا يتوجهون إليَّ تحديداً إذا كان لدى أحدهم مشروع مسرحية أو عمل فرقة دبكة أو أي عمل جماعي . . . .

أما المعلمون، فقد شككوا بنجاح المشروع من بدايته، ولكن الحيرة ما زالت بادية على وجوههم. (ولكني لم أكن حالماً إلى درجة أن أتصور فيها أن بإمكاني تغييرهم في شيء).

أما أنا، فقد تذكرت في أثناء تقييمي لتجربتي بعد نهايتها موقفاً كان قد مر معي في بداية حياتي الدراسية في الكلية، حين انتميتُ لأحد الأحزاب، وكان يُطلب منا باستمرار توزيع منشورات، وأذكر أنني حين ضقتُ ذرعاً بذلك العمل المرهق للنفس والأعصاب، سألتُ مسؤولي الحزبي الكهل عن جدوى توزيع منشورات لا يقرأها أحد، ولن تتمكن من تغيير أي شيء، حينها قال لي إن لم تُغير الواقع من خلال هذا العمل فبلا شك ستتغير أنت.

ولكن، شعرتُ بنوعٍ من خيبة الأمل مع هذه التجربة الرائعة، حين لاحظت أن لنا جميعاً منطقاً واحداً، بل وتعبيرات مشتركة، وأن لكل شيء مقابلاً . . . وأن الطلاب لا يستحقون التعب لأجلهم . . . . وأن. . . . وأن . . . مع هؤلاء هُزمت بالفعل . . . ليس لأنني لم أُغير وجهات نظرهم، فلستُ حالماً إلى هذا الحد كما قلتُ سابقاً، ولكني هُزمت لأني ما زلتُ أُجاري منطقهم أمامهم، فأجد نفسي أخرج من ذاتي . . . وأخجل من القول إنني أُحاول إتباع طريق جديدة، فنحن بتنا نخجل من الخروج عن المألوف. ولذلك، فقد وعيت من خلال التجربة، أن العملية تراكمية، لا يُجدي معها الجهد الفردي. فالتجربة

كانت في تقديري ناجحة لأنها حققت التجربة وما ترتب عليها .

ولذلك أخرج بالتوصيات والمقترحات التالية :

بعد النقاش مع الباحث في مركز القطان مالك الريماوي، اتفقنا على مخارج عدة لهذهِ التجربة، منها :

- أن المواد المتوفرة غير كافية تماماً لإصدار مجلة مستقلة، ولذلك فمن الممكن نشر بعض الأعمال ضمن مجلة رؤى تربوية، وبخاصة أن المهم هو التجربة بحد ذاتها .
- كتابة التجربة كما هي، ويضاف إليها كل المواد التي قام الطلبة بصياغتها .
- من الممكن أيضاً أن تتم الاستفادة من تجارب معلمين في مدارس أخرى، أو تعميم التجربة على مدارس عدة لتصدر مجلة طلابية واحدة .

في الختام

أتوجه بالشكر الجزيل لمركز القطان ولكل العاملين فيه، وبخاصة مالك الريماوي، على إتاحة الفرصة لي للقيام بهذهِ التجربة. وأرجوا أن تكون الآن الفكرة قد اتضحت بجعل الطلبة يعملون في المشروع من الألف إلى الياء دون تدخل في تفكيرهم. ففي الواقع، ومن خلال التجربة، ثبت لي أن التوجه بجعل الطلبة يسيرون وفق الخطوات ذاتها التي نرسمها لهم، يجعلنا لا نختلف كثيراً عن السياسات العامة، ما قد يُحبط جوهر الهدف من المشروع، كما أن الزملاء في مركز القطان كانوا يدعونني إلى شرح الخطوات التي أقوم بها أولاً بأول، والحقيقة أنهُ في ذلك الوقت لم يكن لدي شيء لأشرحهُ لهم . . . ولعل حديثي عن التجربة الآن قد يُفسر الأمور (فبالنسبة لي لم أستبق النتائج، وكنتُ أسير خطوة خطوة، ولم أكن أدرك بعد ما يمكن أن يواجهني) .

في النهاية أستطيع القول إنه مع نهاية العام الدراسي الماضي كنا قد قدمنا تجربة جماعية كاملة (وهذا هو الهدف) حتى وإن لم نكن قد تمكنا من تقديم عمل صحافي كامل .

عبد الرحيم زايد
مدرسة ذكور عين مصباح الأساسية

مشاركات في دورة «التعليم بوسائط الملتيميديا : تحريك الرسوم» يقمن بتصنيع نماذج من الدمى .